



"بهيمة"، "خبيث"، "نجل"، "كلب عاوي"، "أضل من حمار أهله" ...

الأفاظ ترد على لسانه بعض طلبة العلم في وصف من صدر عنه بدعة أو مخالفة أو قول منكر، وإذا نصحتهم بالبعد عن الفحش في الألفاظ احتجوا عليك بأنها وردت على لسان أئمة السلف، وذهبوا يؤصلون للشدة على أهل البدع، وأن هذا من الغيرة على الدين.

وإنني لا أشك في غيرة أكثر هؤلاء على الدين، وأرجو أن تتسع صدورهم لهذه الكلمات الناصحة:

1 - أقوال العلماء نور يستضاء به، ولكن ليست كل كلمة منهم سنة تتبع، ولا هدياً يقتفي، إلا ما وافق هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فخير الهدي هديه، وهو الذي ما كان فاحشاً ولا متفحشاً، صلوات الله وسلامه عليه.

2 - تقرأ في كتب أحد هؤلاء الأعلام وتراجمه المجلدات الكبيرة، فتجد فيها مواضع معدودة اشتدا فيها بمثل هذه الألفاظ، فيأتي شباب اليوم - هداهم الله - ليستخرجوا من كل إمام مواطن الشدة عنده، ويجمعونها إلى بعضها، لتصبح قاموسهم الذي يرجعون إليه في وصف مخالفاتهم ! فشتان بين استخدام العلماء لهذه الأوصاف وبين استخدام المعاصرين لها.

3 - هذه الألفاظ وجهها العلماء - في الغالب - إلى أصحاب بدع خطيرة، وشرور مستطيرة، ومن زكمت سيرتهم السيئة الأنوف، وليس لكل مخالف.

٤- هذه العبارات كانت متداولة بين أهل العلم في كتبهم ومجالسهم الخاصة، ولا يطلع عليها في الغالب إلا طبقة العلماء وطلبة العلم، وهؤلاء يفهمون العبارة في سياقها، ولم يكن الأمر مثل اليوم، يتكلم الرجل الكلمة فتبليغ الآفاق ويختلفها الناس من كل ما هب ودب، ويعيدون بثها، فيترتب عليها من الشرور والآثام ما لا يعلم مداه إلا الله.

٥- يُحتمل لبعض العلماء الكبار ما لا يحتمل لغيرهم، والأب في بيته يقول العتاب الشديد لأهل البيت مما لا يقبل من غيره، فإذا قال الإمام أحمد أو من مثله في الجلالة كلاماً، فهذا لا يعطي الحجة لصغر طلبة العلم أن يقولوه.

يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند

٦- كما أن العرف يلعب دوراً كبيراً في استساغة العبارة من عدمها، في بعض العبارات في بعض المناطق لا يرون فيها عيباً، بينما يستحيي منها وتحمر منها الخدود في مناطق أخرى، وقد تسوغ عبارات في أوسع معاينة ولا تسوغ في غيرها، وكذلك الأمر بالنسبة للأزمان، مما هو مقبول في عصر قد لا يكون مقبولاً في غيره. خذ العبارة المأثورة عن أبي بكر رضي الله عنه التي قالها لعروة بن مسعود يوم الحديبية، كانت - على قسوتها - ليست بعيدة عن كلام العرب في ذلك الزمان، قال الحافظ في الفتح: "وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمها"، لكن كيف هي اليوم أن تصدر عن إنسان عامي فضلاً عن طالب علم أو عالم؟

٧- أضاف إلى هذا أن بعد الناس عن اللغة اليوم يجعلهم يستبعشون ألفاظاً قد لا تكون بهذه الدرجة من البشاعة في اللغة، فالالفاظ مثل "سفيه" أو "أحمق" أو "كذبت" (عند أهل الحجاز = أخطأت) يعدها الناس اليوم من المسبات الكبار. وكثير من يستخدم هذه العبارات اليوم لا يراعي هذه المتغيرات، مع أن القاعدة الشرعية أن "العادة محكمة".
لكل هذه الاعتبارات وغيرها يبقى الأصل الذي نتمسك به ونطمئن له هو قول ربنا "وَقُلْ لِعَبْدِي يَقُولُوا تِي هِي أَحْسَنْ" ، قوله "وَجَادَلُهُمْ بِالَّتِي هِي أَحْسَنْ" ،

ويبقى خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا سباباً، وأن تخطئ في الإحسان خير من أن تخطئ في الإساءة.

وإنما مما يغتنم له قلب المؤمن أن تجد أهل البدع والضلال ألطاف عبارة، وأهداً لهجة - مع أن أهل الحق كانوا أحق بها وأهلها - فحصل بذلك فتنة عظيمة وصد عن سبيل الله ، وصدق الله وهو يقول لصاحب الحق المطلق "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفخوا من حوالك".

المصادر: